المصدر : الاهرام

التاريخ : ٤ يوليو ٢٠٠١

■ كل اربعاء ■

عدالة المنتصر

بقلم:
محمد السماك

تعلق كارلا دال بونتى قاضى الاتهام فى محكمة العدل الدولية فى مكتبها فى لاهاى صورة كبيرة للرئيس اليوجوسلافى السابق سلوبودان ميلوسوفيتش مطبوعا عليها العبارة التالية: مطلوب.. جائزة خمسة ملايين دولار لمن يلقى القبض عليه ويسلمه الى المحكمة.

فى شهر ابريل الماضى القت الحكومة اليوجوسلافية القبض عليه، ثم اصدرت قانونا يسمح لها بتسليمه الى المحكمة الدولية وفى ٢٨ يونيو قامت بتسليمه فعلا. لم تطالب الحكومة اليوجوسلافية بجائزة الخمسة ملايين دولار ولكنها حصلت فى اليوم التالى لعملية التسليم على مساعدات وعلى تعهدات بمساعدات تزيد قيمتها على ١.٥ مليار دولار تمكنها من إعادة بناء اقتصادها الذى تاثر خلال حرب كوسوفو على ان هذا ليس هو المهم بالنسبة للسيدة بونتى. المهم هو محاكمة الرجل المسئول عن حروب البلقان التى جرت بين الصرب والكروات الكاثوليك ثم بين الصرب والبوسنيين المسلمين وبعد ذلك بين الصرب والكوسوفار الذين ينحدرون من اصول البانية.

لقد ادان العالم ميلوسوفيتش فى عام ١٩٩٩ عندما ارتكب مجزرة كوسوفو إلا ان محاكمته وادانته المؤكدة امام محكمة العدل الدولية سوف تجعل منه اول رئيس دولة فى العالم يواجه هذا المصير.

خسر ميلوسوفيتش الحرب. ولو انه بربحها لكان الآن يتمتع بمثل الحصانة التى يتمتع بها الجنرال اريل شارون رئيس الحكومة الاسرائيلية.

يدفع ميلوسوفيتش ثمن الهزيمة التى لحقت به عسكريا على يد قوات حلف الاطلسى ثم سياسيا على يد الشعب اليوجوسلافى. إنه يواجه مصير المهزومين بصرف النظر عن الحق والعدل صحيح ان ميلوسوفيتش مجرم حرب من الدرجة الأولى ويستحق الادانة والعقاب، الا أن الصحيح ايضا ان مجرم الحرب عندما لايهزم لايحاكم ولايدان ولايعاقب. وهذا شارون مثل قائم على ذلك وقبله كان اسحق شامير بطل عملية تفجير فندق الملك داود واغتيال الوسيط الدولى الكونت برنادوت فى القدس فى عام ١٩٤٨، وقبلهما كان مناحيم بيجن زعيم منظمة الهاجاناة الارهابية التى كانت نواة الجيش الاسرائيلى، والاثنان شامير وبيجن كانا مطلوبين للعدالة امام المحاكم البريطانية قبل قيام اسرائيل. إلا انهما بعد قيامها استقبلا فى بريطانيا نفسها استقبال رؤساء الدول.. كما استقبل شارون بطل مجزرة صبرا وشاتيلا فى البيت الابيض فى واشنطن. من هنا فان المحاكمة فى لاهاى هى محاكمة المنتصر للمهزوم. ولو كانت المحكمة امامها ابطال الجرائم التى ارتكبتها القوات الامريكية فى فيتنام (مايلاى مثلا) ولمثل امامها المسئولون عن قصف ليبيا فى عام ١٩٨٦، وعن اسقاط الطائرة المدنية الايرانية فوق الخليج: وعن سلسلة الحروب الاهلية الدامية فى امريكا الجنوبية.. وسواها كثير ففى نورمبرج بعد الحرب العالمية الثانية، حوكم النازيون ليس فقط لانهم ارتكبوا مجازر خلال الحرب، فالكل ارتكب مجازر ضد الانسانية، ولكنهم حوكموا لانهم خسروا الحرب والذين حاكموهم هم الذين انتصروا عليهم.

انشئت محكمة لاهاى فى عام ١٩٩٣ فى محاولة لاراحة الضمير الاوروبى بعد سلسلة الجرائم الجماعية التى ارتكبتها القوات الصربية فى البوسنة والهرسك والتى كانت المخابرات الاوروبية والامريكية تعرف كل تفاصيلها.

وقد ادانت هذه المحكمة مائة شخص (من الصرب والكروات) وانفقت على ذلك حتى الآن ٤٧٠ مليون دولار. وقبل ميلوسوفيتش كان الجنرال رادسلاف كريستش أبرز المدانين لارتكاب جريمة قتل ثمانية آلاف مسلم فى يوليو ١٩٩٥ فى بلدة سريبرينشكا. وخلال محاكمته قدمت هيئة الاتهام ٩٠٠ وثيقة بينها صور التقطت بالاقمار الصناعية للجريمة اثناء تنفيذها.

وفى الوقت الذى تسلط فيه الاضواء على محاكمة الرئيس اليوغسلافى السابق ميلوسوفيتش. لايكاد يذكر شئ عن محكمة دولية اخرى انشئت فى مدينة اروشا فى تنزانيا لمحاكمة مجرمى الحرب قتل اكثر من ٨٠٠ الف انسان مع ذلك لم يحاكم حتى الآن سوى تسعة اشخاص فقط- بينهم رئيس الحكومة السابق جان كامباندا - ووزيرة سابقة هى أول امرأة تدان بارتكاب جرائم ضد الانسانية. ومنهم ايضا قسيس النجيلى وراهبتان كاثوليكيتان ادينتا فى السادس من يونيو الماضى بالمشاركة فى قتل ٧٠ الفا من التوتسى كانوا لجأوا الى الدير الذى كانت الراهبتان تقيمان فيه.

وبينما يجرى العمل على انشاء محكمة دولية ثالثة فى سيراليون لمحاكمة مجرمى الحرب الاهلية التى ارتكبت هناك فان علامة الاستفهام الكبيرة ترتفع حول مصير مشروع المحكمة الدولية الدائمة لمجرمى الحرب التى تقرر انشاؤها فى مؤتمر روما ١٩٩٨. ذلك انه رغم ان ١٣٨ دولة وقعت بالاحرف الأولى على انشاء هذه المحكمة، فلم يبرم اتفاقية انشائها سوى ٣٢ دولة فقط حتى الآن. علما بان الاتفاقية تنص على ان يبدأ العمل بالمحكمة بعد عامين من ابرام ستين دولة على الاقل.

يستحق ميلوسوفيتش الاداذ والعقاب. غير ان بعض الذين قادوه الى المحاكمة يستحقون ان يقفوا معه فى قفص الاتهام ايضا فالعدالة الدولية التى تقوم على تبرئة المجرم حتى ينهزم بل وتجعل من المجرم شرطيا لها هى عدالة مطعون فيها تكون العدالة مطلقة عندما ترفع عن المجرم حصانة الانتصار. وعندما تستعصى على قوة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية